كتاب

"القبعات الزرق" للعميد رؤوف الصيّاح
دور اليونيفيل وصلاتها الوثيقة مع السكان

في 31 آب المقبل يكون قد مضى على قوة الامم المتحدة الموقتة (اليونيفيل) 46 عاما، اذ دأب مجلس الامن منذ تأسيسها في العام 1978 على تمديد ولايتها سنويا بناء على طلب الحكومة اللبنانية، للتأكيد على انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي اللبنانية المحتلة. وقد تم تعديل مهمتها مرتين نتيجة التطورات الميدانية

يضع العميد الركن الدكتور رؤوف الصياح في كتابه "القبعات الزرق في جنوب لبنان" يده على مسائل اساسية موثقة بالخرائط والوثائق باتت جزءا لا يتجزأ من تاريخ لبنان المعقد والحافل بالاحداث المهمة والتداعيات الخطيرة، بحيث يؤرخ لحقبتين بارزتين من دخول القبعات الزرق الى جنوب لبنان وفق القرارين 425 الصادر سنة 1978 و1701 الصادر سنة 2006، وتأمين الشرعية الدولية في مرحلة ابعاد الشرعية، وذلك وفق دراسة مقارنة من الناحيتين السياسية والعسكرية وتأثيرهما في صياغة هذين القرارين وترسيم الخط الازرق.

الكتاب الصادر في طبعته الاولى عن مطابع الجيش اللبناني - مديرية الشؤون الجغرافية للعميد الصياح، في 464 صفحة من اربعة فصول ومقدمة وخلاصة، يكشف ليس فقط عن دور اليونيفيل في جنوب لبنان كقوة عسكرية وسياسية بدأت عملها مع القرار الاممي 425، بل يبرز ايضا دورها وصلاتها الوثيقة والمتينة مع السكان المحليين من ابناء الجنوب الذين احتضنوهم وتفاعلوا معهم انمائيا واجتماعيا واقتصاديا، بحيث يلفت الكاتب الى ان قادة قوة اليونيفيل اصروا على الرغم من الصعوبات والمخاطر على بقائهم وفاء لمهمتهم وعدم تحويل الجنوب اللبناني الى قرى منسية.

يزداد اعتماد الصياح على شهود عيان رصدوا كيف ترافق قوة اليونيفيل المزارعين الى حقولهم، وتتمركز في الطبقات العليا في بعض المنازل بغية حمايتهم من الاعتداءات الاسرائيلية، وكيف تقدم المساعدات للاهالي من النواحي كافة، حتى اصبحوا حاجة لبنانية يسارع اللبنانيون الى الطلب من الامم المتحدة تمديد مهمتهم في كل مرة تشارف على نهايتها.

لكن انشاء هذه القوة وانتدابها لمهمة موقتة من اجل تنفيذ القرارين 425 و426 الصادرين عن مجلس الامن سنة 1978 استمرت اكثر من اربعة عقود ونصف عقد، ولا تزال مستمرة دفاعا عن حفظ السلام في جنوب لبنان الذي عانى طويلا من صعوبات الحروب الاكثر تعقيدا في التاريخ.

ويكشف المؤلف استنادا الى وثائق الكتاب، الى ان تسمية "القوة المؤقتة" تعود لتقدير جيمس جونا مساعد الامين العام السابق للامم المتحدة كورت فالدهايم الذي وضع خطة انشائها مع اخرين، على ان تكون مهمتها لفترة قصيرة جدا لا تتجاوز ستة اشهر لتأمين انسحاب القوات الاسرائيلية من الجنوب اللبناني اسوة بانسحاب القوات الفرنسية والبريطانية والاسرائيلية من سيناء، اذ يعتقد بعض المحللين ان محور الاهتمام في حالة لبنان كان في مكان آخر عندما اتخذ القرار 425 لأن الادارة الاميركية كانت في المقام الاول معنية في انجاح اتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية ومعاهدة كامب دايفيد.

في استناده الى الوقائع، لا يفوت المؤلف الاشارة الى ان الوضع السياسي والعسكري خلال الحقبة الاولى تميز عشية وصول القبعات الزرق الى جنوب لبنان، بالصراع بين اطراف غير لبنانية على ارض لبنانية، وصعوبة انتشار القوة الاممية التي تعرض عناصرها لنيران المتحاربين وللخطف واعمال الثأر والقتل احيانا بأبشع الطرق حتى سقط لهم شهداء. وعلى الرغم من ذلك، واصلت قوة اليونيفيل جهودها الرامية الى الحد من الصراع وحماية السكان المدنيين من وطأة القتال، وبذلت قصارى جهدها من خلال شبكة نقاط التفتيش التابعة لها ونقاط المراقبة والبرنامج الفعال لتسيير الدوريات، لتهدئة الحالات التي يمكن ان تؤدي الى تصعيد التوتر.

كذلك يشير الكاتب الى ان اللبنانيين يلتمسون الملجأ في حمى الوجود الدولي للامم المتحدة للاحتماء من القصف الاسرائيلي الذي لم يحترم القوانين الدولية في اعتداءاته، فأقدم على ارتكاب مجزرة حين قصف عنابر القوات الفيدجية في قرية قانا، مما ادى الى استشهاد اكثر من 120 شخصا وجرح نحو 500 بين طفل وشيخ وامرأة وشاب وعدد من الجنود الفيدجيين. ولم تتوان القوة الاممية عن مواصلة جهدها لتقديم المساعدة الانسانية للسكان المدنيين وتوفير الغذاء والمساعدة الطبية لهم وغيرها من الخدمات خلال الاعمال الحربية في نيسان 1996 وبعدها، وتابعت دعمها للعمليات التي تضطلع بها وكالات الامم المتحدة، وعملت على اصلاح الطرق التي دمرها القصف، والتخلص من المخلفات الحربية غير المتفجرة.

ويسجل المؤلف ان السبب الرئيسي للانسحاب الاسرائيلي من لبنان في 24 ايار عام 2000، كان لتوازن الرعب بين لبنان واسرائيل. واعتبر يوم 25 ايار "عيد المقاومة والتحرير"، وطبق القرار 425 مع تحفظات الحكومة اللبنانية على بعض النقاط، وانتشرت قوة خاصة مؤلفة من الجيش اللبناني وقوى الامن الداخلي في المناطق التي انسحب منها الاسرائيليون، وباشرت قوة الامم المتحدة الموقتة في لبنان تسيير دوريات جنبا الى جنب مع السلطات اللبنانية، وامنت المساعدات الى المحتاجين، وساعدت عناصر جيش لبنان الجنوبي وعائلاتهم الذين فروا الى اسرائيل على العودة الى لبنان.

في عودة الكتاب الى الاطار العام للصراع، يتناول العميد الصياح الحقبة الثانية التي تمحورت حول حرب تموز 2006، وتعزيز القبعات الزرق في جنوب لبنان بقوات عسكرية برية اضافية بموجب القرار 1701، مع تشكيل للمرة الاولى قوة بحرية لحراسة الشاطئ اللبناني، والتنسيق مع الجيش اللبناني للعودة الى الحدود الجنوبية والانتشار على كامل الاراضي اللبنانية، ليصبح لبنان تحت مراقبة الامم المتحدة.

ويبقى الجديد النوعي الذي يقدمه الكتاب، متمثلا في وجهة نظر المؤلف الذي رأى انه في وقت كان آخر جندي اسرائيلي يقفل بوابة العبور من لبنان الى فلسطين المحتلة في 25 ايار عام 2000، فارا من "جغرافية الموت"، تركت السلطات الاسرائيلية ثلاث نوافذ مشرعة على الاحتمالات كلها:

النافذة الاولى: الاسرى اللبنانيون في السجون الاسرائيلية، وهي النافذة التي اطل منها السيد حسن نصرالله في 26 ايار 2000، في خطاب النصر بعد التحرير في مدينة بنت جبيل: "والله ان اسرائيل هي اوهن من خيط العنكبوت"... و"كل اسير في السجون الاسرائيلية سيعود اليكم قريبا ان شاء الله، نحن قوم لا نترك اسرانا في السجون والمعتقلات".

غلاف الكتاب

"الكتاب يؤرخ لحقبتين بارزتين من دخول القبعات الزرق الى الجنوب

اليونيفيل لمهمة موقتة لا تتجاوز 6 اشهر تستمر 46 عاما"

النافذة الثانية: الاحتفاظ بخرائط الالغام التي زرعها الجيش الاسرائيلي وميليشيا جيش لبنان الجنوبي في جنوب لبنان.

النافذة الثالثة: الاحتفاظ بالاراضي المحتلة في بلدة الغجر ومزارع شبعا، مع تحفظ الحكومة اللبنانية عن بعض النقاط في الخط الازرق.

واعتبر ان هذه النوافذ التي شرعها العدو الاسرائيلي، تلازمت مع طرح مشاريع عديدة للشرق الاوسط تترابط بعضها مع بعض، اما اتفاقا واما صراعا على المصالح الدولية الخاصة مباشرة او بطريقة غير مباشرة لحل قضية الشرق الاوسط من خلال حل للصراع العربي الاسرائيلي الذي تمت تجزئته ومسخه من الدول المعنية في هذه القضية. وعرض المؤلف لسير العمليات العسكرية بالتفصيل، لاسيما معارك مارون الراس وبنت جبيل، ويوم 6 آب الاسود بالنسبة الى اسرائيل حين اطلق حزب الله صلياته الصاروخية على حيفا ومقبرة الناصرة.

لكن المؤلف لم يتطرق الى دور القبعات الزرق في هذه المرحلة الراهنة، لأنه كان قد اصدر كتابه قبل عملية طوفان الاقصى في 7 تشرين الاول الماضي التي فرضت تحولات مهمة على ميزان الصراع بين حزب الله والمحتل الاسرائيلي، حيث انتقل الجنوب اللبناني الى مرحلة المشاغلة والاسناد لجبهة القتال في غزة.

جاءت زيارة لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب برئاسة النائب فادي علامة، في مطلع تموز الماضي، الى المقر العام لقيادة اليونيفيل في الناقورة، لتظهر اهمية العمل الذي تقوم به قوة اليونيفيل لتحقيق الامن والاستقرار في جنوب لبنان الذي يشهد توترا منذ الثامن من تشرين الاول، خصوصا ان اليونيفيل استطاعت نسج علاقات مميزة في القرى الجنوبية مع البلديات والجمعيات الاهلية والاهالي الذين تربطهم علاقات مصاهرة ومودة مع قيادة قوات اليونيفيل وعناصرها. كما يؤكد طلب الحكومة اللبنانية مؤخرا من مجلس الامن تجديد ولاية اليونيفيل لمدة عام آخر على دورها واهميتها لتحقيق المنفعة العامة والاستمرار باداء مهمتها الانسانية، لاسيما في ظل الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان وخرقها المتواصل للقرار 1701، واستعمال القنابل الفوسفورية الحارقة والمحرمة، ولم توفر ايضا استهداف المدنيين والمسعفين والاعلاميين.